

عودة إلى نمط الاستاذ على طر

أرواح وأشباح

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

- ١ -

اطلع الأستاذ توحيد بك على نقد في « الثقافة »
ل « أرواح وأشباح » ، فحرك ذلك نشاطه لاستئناف
البحث في هذه اللغزة الرقيقة تحليلاً لغزى القصيدة ، وتميماً
على رأى الناقد . (الرسالة)

هي الأرواح والأشباح الماثلة في البشر أجمعين ، ويمثلها
أبطال يحيمهم في الخيالة فن الشاعر المبكر في نمته العربية .
ولا بأس بالعودة إلى الحديث في موضوعها : فإن التحف الفاتحة
من شأنها أن تحرك الخواطر والخواجج في كل وقت على الدهر ،
فيكدر الكلام عليها من كل وجه . فلننظر المرة فيما قدم إلينا
هذا الشاعر المفلق من صنيع كما هو :

هو قصة الروح والجسد في محاوره مدارها السر في تجاذب
الرجل والمرأة ، وأثر الغريزة في الفن بينهما . وهذا موضوع
جدي بعيد القور ، أحسن معالجته شاعر مثقف ، وبناء
على أساس متين من وجدانيات وفكر جديرة بالنظر

والفكرة الرئيسية في الموضوع ، هي أن بين الروح والجسد
تفاعلاً ، وبين القيم الأخلاقية والغريزة تدافماً ؛ وأن هذا التفاعل
وهذا التدافع هما العاملان الخفيان السيران للحياة البشرية .
وهذه الفكرة الأصلية مستحكمة في صلب الصنيع ، صرفة
على كلامه من أوله إلى آخره ؛ وهي لذلك أس الوحدة الجامعة
لأطرافه ، يؤديها سائر الأسباب التتمة لهذه الوحدة المتينة (١) .

أما خلاصة المحاوره فيما يتعلق بأثر الغريزة في الفن بين الرجل
والمرأة ، فهي أن المرأة تلمم الفنان بجهاها الجسدى وجهاها الروحي
فيراها دمية صورّت من نهاء ، ويرى فيها ما لا تجد النعى ،
كأنها معنى وراء الخيال . غير أن الشهوة الجائعة فيها ، بل الغريزة
العانية فيها ، توقهما في الخطيئة ؛ فالفنان يستلهم الشرّ سحر
البيان ، وتصير الفنون رمز الآثام . وتلك حال الآدمية ، يريد

(١) حالت ضرورة الایجاز دون زيادة بيان هنا في شأن هذه الوحدة
خصوصاً بعد مقالة سابقة في العدد ٤٦٦ من الرسالة

الفن أن يملوها ، فيقدمها الجسد بغرائزه . علي أن أهل الفن
منهم من يحتمل سفير الحياة فتقوى روحه ، ومنهم من يمشو
بنور هذا السمير فتغلبه الغريزة :

شفت غلّة الفن حتى ارتوى وإن دنس الفن من طهرها (١)
خطبتها قصة اللهمين وإغراؤها الفرح المتقد
بأرواحهم يرتقون الخلود على سئم من متاع الجسد
وما الفن إلا سفير الحياة وتورثها في محيط الأبد
لهيب إذا الروح صرّت به تصاعفت الروح في ناره
يطلق القوى لظي جره ويمشو الضميف بأنواره
وما الآدمية بنت السماء ولكنها بنت ماء وطين
يريد لها الفن أفق النجوم فيقدمها جسم عبد سجين

كلام في الفن والفنانين ، تتحدث به في السماء أرواح
أحماؤها إغريقية مستعارة من الأساطير ؛ ولكن هذه الأرواح
رموز إلى الآدميين ؛ والفنانون بشر على كل حال ؛ فحديث الغريزة
العاملة فيهم بمعنى معهم سائر البشر . ولذا جاء الكلام في الفن
وسيلة فنية شعرية إلى إبداع ملحمة في شأن الإنسانية منذ نشأتها ،
ومن أقدم عصور اليونان ، ومن أيام السامري وبنى إسرائيل
وموسى في أرض مدين ؛ وتعنى البيض وغيرهم ، حتى زلوج
هاواي ؛ وتقص طبيعة البشر وأثر الغريزة في الرجال والنساء طراً :
نعم ، أنت هن... نعم ، ما أرى؟ أرى الكل في امرأة واحدة
لقد فنيت فيك أرواحهن وها أنت أيتها الخالده
أأبفض « حواء » وهي التي عرفت الحنان لها والرضى ؟
ورثت هواها فرمت الحياة وحسب لي العالم البنضا
هو الرجل القلب ، لا غيره فأودعته القبس المضمرا
إذا ما اقتحمتم هذا السياج فقد خضع الكون واستلما
هنالك حيث نشب الحياة [على الأرض]

وحيث الوجود جئين المدم

وحيث الطريدان شجبا الكؤوس

ومجاً مصابتها من قدم

وما أخطأ الطيف ألوانه [في الزوج]

ولكنه اللب الأحمر

لهم أعين تملى الجمال وأفتدة بالهوى تشمر

(١) الأبيات المختارة في هذه المقالة وما يتبعها في العدد الآتي منقولة

بلا محافظة على ترتيبها في الملحمة

سترقد في غورها الذكريات وتوقظهن السنون السراع
وتعشى لحاضرها في الحياة بمصباح ماض خنى الشماع
وكم نبأة كالحديث الجديد وما هو إلا التديم السماع
من الخبير والشر إلهامها مقادير تجري بهن البراع
ما أحب هذا الشعر وأسرعه إلى القلب واللب ! وما أنفسه
في الأدب ! ثم إنه قريب إلى المعقول على نظرتي الحياة في
الفلسفة العلمية : النظرية الروحية والنظرية الآلية !

فقد فطر الإنسان على غريزتين أصليتين ، تعمل إحداها على
حفظ الفرد وتعمل الأخرى على حفظ النوع ، وهذه هي علة
التجاذب القاهر بين الرجل والمرأة ، ولوبطل عملها لاقرض النوع
والجسد مكن الغريزة ، أما الروح فهي مجمع الملكات
السامية من الخيلة والشعور أو الوجدان والعقل والإرادة ؛ وهي
مبتدعة القيم الأخلاقية العالية والشعر وجميع الفنون
والإنسان يسف بفرائزه الحيوانية ، ويسمو بملكاته الروحية ؛

وقد تدرج بها إلى إنسانيته الحاضرة في سراق أطوار غابت معالمها
في غياهب الدهاير . ولاحظ الآدي في حين من الدهر طواه
الماضى السحيق أن هذه الملكات التي يتفوق بها على الحيوان
تذهب مع الروح ، وأن من فارقت روحه بقى جثة هامدة من اللحم
والدم لا تلبث أن تنحل ؛ ولذا قيل إن الروح هي الأصل الساوي ،
وما الجسد إلا شبح تقمصته عند هبوطها من العالم العلوي

والملكات الروحية تؤثر في الجسد وغرائزه ، كما أنها تتأثر
منها . وهذا التفاعل مختلف الأثر باختلاف عوامل شتى ،
كالوراثة والمادة والميشة والبيئة ؛ مختلف الأثر في كيان كل
شخصية ، وفي شعورها باللذة والألم ؛ وهذان هما سبب الفضيلة
والخير ، والرذيلة والشر جميعاً ؛ والنضائل والرذائل خلال
في البشر على نسب متفاوتة ؛ فمنهم من هم أدنى إلى الحيوان ،
ومنهم من هم أدنى إلى الإنسان المثالي . وفي سورة (الشمس) :
« ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من
زكاها ، وقد خاب من دساها »

تؤثر الملكات في غريزة حفظ النوع التي هي علة التجاذب
القاهر بين الرجل والمرأة ، فتلطف من حدتها وتهذبها بقيم
أخلاقية هي قوام الحياة الاجتماعية ؛ ولكن هذه الملكات
لا تكف الغريزة عن العمل . ولذا فهي تخفى فعل الغريزة وراء
أستار من المعاني والخيالات والأسماء الشريفة ، إذ تسمى
الجاذبية في الذكر والأنثى جمالاً ، وسلطان الغريزة حياً ؛ وتسمى

تفرّد فثهمُ بالغفاء وصيغ بفطرتهم واتسم
له بأس « مانا » وإجائوه إذا اضطربت روحه بالألم
ورقة « هاواي » في شدوها إذا جاش خاطرها بالنغم
هم الناس لا يعشقون الخيال إذا لم يكن حافظاً للطباع
هم الناس لا يبيدون الجمال إذا لم يكن نهزة للمتاع
هم الناس لا بالفنون الحياة إذا لم تكن مرضاً للخداع
هذا ، إلى أن المقدمة الشعرية والملمحة ذاتها تدلان دلالة

واضحة على أن الشاعر قد طافت خواطره المجنحة في أحوال البشرية
متذ أقدم القدم إلى حاضرها ؛ وأن مخيلته الخصبية ، وقلبه
الفياض ، قد تأرا من عقائد راسخة في نفسه ... نفسه المستبيرة
بأدب جمّ وبعائور في الإنسانية ؛ وأن هذه النفس الحية ، عرثها
هزة الإلهام ، فتبعت منها هذا الشعر الصادق المشرق الأمر :
إلى قمة الزمن النابر [من المقدمة الشعرية]
سمت ربة الشعر بالشاعر

يشق الأثير صدق عابرا وروحاً مجتحة الخفاطر
وأوفت على عالم لم يكن غريباً على أمسها الدابر
نمت فيه بين بنات السديم وشبّت مع الفلك الدائر
مشاهد شتى وعنها المعقول وغابت صواها عن الناظر
وجود حوى الروح قبل الوجود وماض تمثل في حاضر
تبدى لها فأنجلي شكها ونابت إلى وعيها الذاكر
وأصفت فرّت على سمها رواية ميلادها النابر

على مذبح الحب من قلبها سراج يسبح من لألاه
وتعشى الحياة على نوره وما نوره غير عين امرأه
هو الحب...؟ لا.. بل نداء الحياة تلبيه أجسادنا الظامته
يخفّ دبي لصداه الحبيب وتدفعني القدرة الهازنه
قلوب تلذّ بتعذيبها غرائر عاتية عارمه
سحت من خمار ملذاتها تنفّ أهواءها الآتمه
هو ابن السماء ولكنه من النقص تركيبه والتمام
صناع الطبيعة بل صنعها فننا دمامته والوسام
يسف إلى حيث لا ينتهي ويسمو إلى قمة لا ترام
ويسقى بكأس إلهية مرنقة بالمسوى والأثام

غدا تدرج الروح في طيفها [من الخاتمة]
وما الطيف للروح إلا قناع

وقد نظر الشاعر الملهم في ماضي الإنسانية البعيد وحاضرها ،
ورادت خواطره المجنحة سيرة البشر ، ثم عرض بفنه الجميل
ما جنت من يانع الثمر ، في ملحمة من كنه الشعر وسحر البيان .
(البقية في العدد القادم) محمد توفيق السليمان

== كسب خبرة فردية بالعالم المدق به ، خبرة انتفع منها نسله ، وكونت
منظفهم ؛ وهو ، باعتباره عضواً من جماعة ، قد ثبت في وراثته الطاعة
لاصطلاحات اجتماعية تحد ميدان نشاطه الفردي ، وكان من امتداد هذه
الطاعة أجيالا عديدة أن أصبحت ضرورة

إن الأصول الأخلاقية الوجهة لنشاطنا الاجتماعي هي الأثر الوراثي من
الاصطلاحات التي كانت جميعات الآباء والأجداد من القدم مؤسسة عليها .
وهذه الأصول كائنة فينا للأسباب الوراثية عنها . غير أن درجة نموها
تختلف لسوء الحظ في بني جنسنا ، ويبدو أن حكمها معادل حكم منطقنا
إن الوفاً من الأنسال المتابعة في الحياة الاجتماعية أتمت في الانسان
كثرة فيها سرف ، من الوجدانيات الأخلاقية ؛ وقد أصبحنا لا نذكر أن
أصل هذه الوجدانيات هو اجتماع البشر ، لأنها استقرت في ضميرنا بالتدرج
إذا تمكن منا وجداني شديد فانا لا نسال أنفسنا عن أصله . ونحن
لا نسل أبداً إلا طوعاً لرغبة من ضميرنا ، وعند ما تكون هذه الرغبة
على صورة حاجة لا تتردد أبداً في قضائها : فنحن نأكل حين نجوع
وفي الإنسانية نزعة عامة إلى السعادة . وليست هذه النزعة إلا ترجمة
غريزة الحفظ بلغة عاطفية . وهي في الحقيقة ، تعريف الحياة بعينه ، وكفاح
الوراثة المنتصر في مواجهة التربة .

Science et Conscience — par Félix Le Dantec. 1916

اللذة من وصف الجمال والحب ، أو من تصويرها ، فنا . بيد أنها
لن تستطيع منع السنة الفطرية أن تبلغ غايتها من حفظ النوع .
فإذا كان تغلب الغريزة خطيئة آدم وحواء فهي خطيئة يذوق
الإنسان مرغمها مرماً عواقبها وحلوه ، ولن ينال الغفران وإن
كفر عنها ما استطاع بفضائله

وفي ذلك حقائق كشفها الإنسان بجزئته العلوية وعلمه (١)

(١) مصداق ذلك هو ما يلي من ترجمة جل مختارة من كتاب « العلم
والضمير » لصاحب العالم فيليكس له دانتيك :

إن غريزة الحفظ هي آلة الحياة (mécanisme) . وإذا كثرت تكرار
فعل عقل استعمال إلى غريزة . وإن فعلا يكثر تكراره يدخل في حيز
العقل الباطن

ومنى تميز جسم حي وتحدد ، فانه لا يظل ثابتاً على الاحتفاظ بصفاته
المميزة من دون نهاية مدة حياته ، ولولا ذلك لما وقع أى تطور ، ولكانت
الوراثة مطلقة

فان مجموع الفروق التي تميز الطفل من المهرم ، في الفرد نفسه ، عظيم
جداً ؛ إذ هو جملة الماديات كلها ، والذكريات كلها ، في هذا الفرد الذي
جمعها في مدة حياته بأسرها . والتغيرات المحدودة في مدة حياة الفرد تتجمع
في مجرى حياة الأنسال المتتابعة . والتشبي (assimilation) والمادة والتقليد
هي مميزات الحياة . والوراثة تستحيل بالتربية . والتربية تعمل في اتجاه
مضاد لاتجاه الوراثة

والانسان ، باعتباره فرداً تنجب جميع أسباب الهلاك إذ هو باق ، قد ==

سكك حديد الحكومة المصرية

دليل تليفون الاسكندرية طبعة سنة ١٩٤٣

تقبل من الآن ولغاية ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٢ الاعلانات

للمرغوب نشرها في دليل تليفون الاسكندرية طبعة سنة ١٩٤٣

وزيادة الابضاح الرجاء مخبرة :

قسم النشر والاعلانات — بالادارة العامة

بمخطة مصر